بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فهذا هو المجلس الأول من مجالس التعليق والشرح على متن «**مقدّمة أصول التّفسير**» لشيخ الإسلام أبي العباس بن تيميّة -رحمه الله-، ضمن دروس معهد علوم التأصيل التّابع لشبكة إمام دار الهجرة العلمية، وهو الكتاب التاسع المقرر في هذا المعهد.

وجرت العادة على البدء بمقدّمتين:

مقدّمة متعلّقة بالمصنِّف، ومقدّمة متعلّقة بالمصنَّف.

-وتقدّم أنّ ما يتعلّق بمعرفة المصنِّف من أهميّته وثماره وفائدته مع ما لهذا العالم من الحقّ أنّه إمامٌ في العلم، ومقدَّمٌ فيه، وأنّ العكوف على كتبه واختياراته ليست مَضْيَعَةً للوقت، وأنّه ليس أجْنَبِيًّا عن العلم.

-والأمر الثاني: ما يتعلّق بالمقدِّمة أو ما يتعلّق بالمصنَّف.

- فأمّا ما يتعلّق **بترجمة المُصَنِّف** -رحمه الله تعالى- فإنّ شيخ الإسلام **ابن تيميّة** -رحمه الله- من الشّخصيات النّادِرة التي اعْتُنِيَ بها عناية تَفُوقُها عناياتٌ كثيرة؛ فقد تناول

العلماء المعاصرون له واللّاحِقُون له ترجمته بتفاصيل دقيقة جدّا، وأُفرِدت فيها الكتب كما لا يخفى عليكم؛ وذلك لما جعل الله –سبحانه وتعالى– له من التّأثير.

وهو **الملقّب بشيخ الإسلام** –رحمه الله– فترجم له محبُّوه، وهم كثر، والحمد لله.
وتَرْجَم له الـمُنَاوِئُون والشَّانِئُونَ إلا أنّهم لم يستطيعوا أن يَنالوا منه.
وترجم له قومٌ أرادوا أن يتَوَسَّطوا في الطّريقين فأتَوْا بالعجائب.

✓ وعلى كل حال فإنّ الـمُتَرجَم له هو: **شيخ الإسلام تقِيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام** بن أبي محمّد عبد الله بن أبي القاسم الخَضِر بن محمّد الخَضرِ بن علي بن عبد الله بن تيميّة الحرّاني الدِّمشقي –رحمه الله تعالى–.

وقد اختُلِف في سبب هذا اللّقب الذي ينتهي إليه، واشتَهر به هو وعائلته «**ابن تيمية**».

– فقيل إنّ السّبب أنّ هذا لقبٌ لجدّه الأعلى، فهو من ألقابه، و لم يذكروا سببا لذلك.

– وقيل إنّ جدّه محمّدًا (...)[1] بالوعظ، فنُسِب إليها، ونُسِبت إليها تلك العائلة لشُهْرتِها.

– وقيل إنّ جدّه الأعلى، وهو محمّد بن الخَضِر، حجَّ ومَرَّ على دَرْبِ تَيْماء المعروف، فرأى هناك طفلة، ولـمّا رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا، فقال: «يا تيميّة**!** يا تيميّة**!** » فلُقِّب بذلك، ثمّ لُقّبت العائلة بهذا اللقب؛ والعلم عند الله.

✓ وكان مولده –رحمه الله تعالى– **في سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١ ﻫ)**، وكان ذلك في شهر **ربيع الأوّل** في العاشر منه، في **يوم الإثنين**؛ وقيل إنّه وُلد في الثاني عشر من هذا الشهر.

---

[1] [كلام غير واضح: الدقيقة ٤:٣٦]

✓ كان مولده –رحمه الله تعالى– **بِحَرَّان**، ثمّ انتقل به أبوه إلى دمشق، وكان ذلك في سنة سبع وستين وستمائة (٥٦٦٧)، والسّبب في ذلك الهروب من التّتار وفسادهم.

أخذوا كتبهم معهم؛ لأنّهم بيت علم، كان شيخ الإسلام –رحمه الله– تعالى صغيرا، ونشأ نشأةً علميّة صِرْفَة.

✓ فأبُوه عبد الحليم كان عالما في المذهب الحنبليّ، كثير الفنون، وكان معروفا بطول الباع في علم الفرائض وعلم الحساب، وكان واعظًا –رحمه الله–.

✓ وجَدُّه أبو البركات عبد السّلام أشْهَر؛ لأنّه ترك مصنّفات وهو أبو المجد أبو البركات، جدُّه لأبيه، صاحب كتاب «منتقى الأخبار» المشهور المعروف، وله جهود وكتب في المذهب معروفة عند أرباب المذهب وأهل العلم.

وهذا سيكون له الأثر البالِغ مع الإقبال؛ فإذا وُجد الصّلاح والخير في الأسرة، ووُجد الإقبال من أبنائها على الخير؛ فإنّ هذا من أعظم الأمور التي تُعِينُهم على الصّلاح وعلى طلب العلم.

✓ بدأ طلب العلم كغيره من أهل العلم في تلك الأزمان صغيرا.

قال تلميذه ابن عبد الهادي –رحمه الله– في «العقود الدُرِّيّة» وهو كتاب مصنَّف مفرد:

«وعُنِيَ بالحديث وقرأ، ونسخ، وتعلم الخطَّ، والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثمّ فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتّى فهم في النّحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كليًّا حتى حاز فيه قَصَب السَّبْق، وأحكم أصول الفقه، وغير ذلك.

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة؛ فانبهر أهل دمشق من فَرْط ذكائه، وسَيَلان ذهنه، وقوّة حافظته، وسرعة إدراكِه».

كل هذه العلوم، وهذا التّحرير، وهذا التّحقيق، وهو ابن بضعة عشر عاماً.

وذكر ابن عبد الهادي عن الحافظ الذّهبي -رحم الله الجميع- أنّه قال: ((نشأ في تصَوُّنٍ تامٍّ، وعفافٍ، وتألُّه، وتعبُّد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، فيتكلّم، ويناظر، ويُفْحِم الكبار، ويأتي بما يَتَحيَّر منه أعيان البلد في العلم؛ فأفتى وله تسع عشرة سنة؛ بل أقلّ.

وشرع في الجمع والتّأليف من ذلك الوقت، وأكَبَّ على الاشتغال.

ومات والده وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم فدرّس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة؛ واشتهر أمره، وبَعُدَ صيتُه في العالم)).

قال الحافظ البزار في ((الأعلام العَلِيَّة))، وهو أيضاً كتاب مفردٌ في ترجمة شيخ الإسلام: ((ولم يزل منذ إبّان صغره مستغرق الأوقات في الجدّ والاجتهاد، وختم القرآن صغيراً، ثمّ اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربيّة حتّى برَع في ذلك، مع ملازمة مجالس الذّكر، وسماع الأحاديث والآثار)).

وهذا كثير في ترجمة شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-.

وينبغي أن تعلم أنّ **من فوائد التّراجم معرفةُ مَسَالِكِ أهل العلم في أخْذِه، كيف طلبوا العلم، ما الكتبُ التي قرؤوها، كيف لَازَمُوا الشُّيُوخ.**

والكلام على ترجمة شيخ الإسلام في هذا المضمار يطول ذكره؛ حتّى قال البزّار: ((ولقد سمع غيرَ كتاب على غير شيخ من ذوي الرّوايات الصّحيحة العالية.

أمّا دواوين الإسلام الكبار كمسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي وسنن أبي داود السِّجِسْتاني والنَّسائي وابن ماجه والدّارقطني؛ فإنّه -رحمه الله ورضي عنه- سمع كلّ واحد منها عدّة مرّات.

وأوّل كتاب حفظه في الحديث ((الجمع بين الصّحيحين)) للإمام الحُمَيْدي.

وقلّ كتاب من فنون العلم إلا ووقف عليه، قد خصّه الله بسرعة الحفظ وإبطاء النّسيان، لم يكن يقِفُ على شيء أو يستمع لشيء غالباً إلّا ويبقى على خاطره؛ إمّا بلفظه أو بمعناه.

وقال ابن عبد الهادي: ((سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرّات، وسمع الكتب الستّة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير)).

وَهَذَا النَّفَسُ كثير فيما يذكرونه.

وإذا كان –رحمه الله– قد طالع مائة تفسير –كما ذكر هو عن نفسه، كما في (مجموع الفتاوى) في المجلد السادس– لـمّا كان يتَحَدَّى الذين يتأوَّلُون الصّفات.

فماذا عسى أن يطَّلع في غيره من الفنون وسائر العلوم !.

– جلس للتّفسير وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وكان التفسير من أهمّ (...)[٢] كما تقدّم في كلام ابن عبد الهادي.

وقال أيضاً رحمه الله– ابن عبد الهادي– ولأنّنا بصدد دراسة مقدّمة أصول التفسير: ((وأمّا التّفسير فسُلِّم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بهذه المسألة قوّة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحيَّر فيه، ولفَرْط إمامته في التفسير وعظمة اطّلاعه يُبيِّن خطأ كثير من أقوال المفسرين ويُوَهِّي أقوالاً عديدة ويَنْصُر قولاً واحدًا مُوَافقاً لما دلّ عليه القرآن والحديث)).

وقال تلميذه الحافظ ابن كثير: ((فصار إماماً في التّفسير وما يتعلّق به)).

ونقل الحافظ ابن حجر عن الذهبي: ((كان يَقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، واستدلّ ورجّح، وكان يَحِقُّ له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه، وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدّالة على المسألة التي يُوردها)).

وهذا أيضاً نفسٌ كثير في كلام أهل العلم عن شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–.

---

[٢] [كلام غير واضح: الدقيقة ١٢]

وقلَّ علمٌ من العلوم إلا وقد ضَرب فيه بسهمٍ أو سهام وصنّف فيه، وردَّ وناظر عليه.

- قَارَع النّصارى؛ وكتابه «**الجَوابُ الصّحِيح لمن بدَّل دين المَسِيح**» من أشهر ما صنّفه.

- وكذلك كتبه التي صنّفها عموما في الرد على الكفرة أو المناطقة، كـ «**الرَّدّ على المَنْطِقيِّين**»، وغيرها من الكتب.

- هذا أيضاً مع ما له -رحمه الله تعالى- من الكتب التي صنّفها وتناول فيها عامّة الفِرق، كالردّ على الجهميّة الذي هو «**نقض أساس التّقدِيس**» للرّازي، والرّدّ على الأشاعرة الذي هو صريح المنقول وكلّها مطبوعة في عشرة مجلدات، (يعني كل واحد منها في عشرة مجلدات).

- هذا مع الكتب الصغيرة المختصرة والشّروح التي للكتب؛ مع ما له -رحمه الله تعالى- من العناية بالتّفسير؛ إلا أنّه لم يصنِّف في التفسير كتاباً كاملاً، ولكنّه صنّف كتاباً في تفسير الآيات التي أَشْكَلَت على كثير من المفسرين -رحمه الله تعالى-.

- و«**مجموع فتاوى ابن قاسم**» الذي جمع فيه كثير من الرسائل (...)[٣]، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التي تركها -رحمه الله تعالى-.

قال تلميذه البَارُّ النَّجِيب الذي قلَّ أن يوجد في تلاميذ أهل العلم مثله في رعاية حقِّ شيخه:

فـاقرأ تصانيف الإمام حقيقة	شيخ الوجود العالم الربّاني
أعني أبا العبّاس أحمد ذلـك	البحر المحيط لسائر الخلجان
واقرأ كتاب العقل والنّقل الذي	ما في الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج لـــــه في رَدِّه	قوْلَ الروافض شيعة الشيطان

٣ [انقطاع في الصوت: الدقيقة ١٥:٢٣]

وكذاك أهل الاعتزال فإنّه ... أرْداهُم في حفرة الجبان

وكذلك التأسيس أصبح نقضه ... أعجوبة للعالم الرباني

وكذاك أجوبة له مصريّة ... في ستٍّ أسفار كتبن سمان

وكذا جواب للنصارى فيه ما ... يشفي الصدور وإنه سفران

وكذاك شرح عقيدة للأصبها ... ني شارح المحصول شرح بيان

فيها النّبوات التي إثباتها ... في غاية التقرير والتِّبيان

والله ما لأولي الكلام نظيره ... أبدا وكتْبُهم بكل مكان

وكذا حدوث العالم العلوي ... والسفلي فيه في أتمّ بيان

وكذا قواعد الاستقامة إنها ... سفران فيما بيننا ضخمان

هذا ولو حدّثتُ نفسي أنه ... قبلي يموت لكان هذا الشان

وكذاك توحيد الفلاسفة الألى ... توحيدهم هو غاية الكفران

سفر لطيف فيه نقض أصولهم ... بحقيقة المعقول والبرهان

وكذاك تسعينيّة فيها له ... رد على من قال بالنفساني

تسعون وجها بينت بطلانه ... أعني كلام النفس ذا الوحدان

وكذا قواعده الكبار وإنها ... أوفى من المائتين في الحسبان

لم يتَّسع نظمي لها فأسوقها ... فأشرت بعض إشارة لبيان

وكذا رسائله إلى البلدان ... والأطراف والأصحاب والإخوان

هي في الورى مبثوثة معلومة ... تبتاع بالغالي من الأثمان

وكذا فتاواه فأخبرَني الذي ... أضحى عليها دائم الطَّوَفان

بلغ الذي ألفاه منها عدَّة ... الأيام من شهر بلا نقصان

إلى آخر ما قاله شيخ الإسلام الحافظ بن القيّم –رحمه الله تعالى– في الكلام على مصنّفات شيخه.

وشيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– كما قلنا أكْثَرَ من المصنفات على حسب الحاجات، وعلى حسب المقامات، وكانت تأتيه المسائل مُشرِّقة ومُغرِّبة.

✓ عرض له الكثير من المحن، لا تخفى على طالب علم طالع في ترجمته.

سُجن مرّات حتّى **كانت وفاته في سجن (القلعة)** –رحمه الله تعالى وغفر له–؛ كان بسبب الفتوى التي أفتى بها في (مسألة الزيارة) –عليه رحمة الله ومغفرته–.

وعُقِدَت له مجالس ومناظرات لم يستطع من خالفَه أو أَوْعَزَ إلى السّلاطين بأن يُحَصِّلوا شيئا على شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى وغفر له–.

✓ وكانت وفاته –عليه رحمة الله– في سنة **ثمان وعشرين وسبع مائة (٧٢٨هـ)** (...)[٤] بالصالحين من أمَّة محمد.

ولو أطلنا في الكلام على ترجمته ما وفَّيْنا حقها من ثناء العلماء والأئمة عليه.

- أمّا ما يتعلّق بهذه **المقدِّمة** (أو المقدَّمة) لشيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– فإنّها من أجلِّ وأنفس كتبه على صغر حجمها.

---

[٤] [كلام غير واضح: الدقيقة ٢٠:٠٦]

لماذا أقول هذا ؟ **لأنّها اشتملت على عُصَارة علمه في جميع أبواب العلم،** كما ستسمعون وستحضرون في هذه المجالس، لا تكاد تجد علما إلا وقد ذكره شيخ الإسلام في هذه المقدّمة -يعني أهمّ العلوم-؛ لأنّه تكلم فيها عن (...)[°] النّحوية.

وذكر أهم المباحث الحديثيّة في مسألة الاصطلاح.

وذَكر طُرُق التّفسير، وذكر أيضا -رحمه الله- نقدًا للتّفاسير الباطلة.

وعَقَد موازنات بين كتب التفسير وبين أصحابها؛ وعلى هذا أحاول أن أجيل خاطري في هذه المقدمة.

وذكر أيضا -رحمه الله تعالى- النَّقض على من خالف عقيدة السّلف وذهب إلى قول الجهميّة أو الباطنيّة، وكلُّ هذا في هذه المقدّمة؛ وكلّ هذا وأعجب منه أنّه نصَّ بأنّها من إملاء الفؤاد! كما سنعرف ذلك -إن شاء الله تعالى- من خلال هذه الرسالة.

وهذه الرسالة مِن أثْبَتِ كتب شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- إلّا أنّها لم تشتَهِر بهذا العنوان: ((**مقدِّمة أصول التّفسير**)) إلا في هذا العصر المتأخر لما طبعها الشَّطِّي -رحمه الله-، فاستخلص منها هذا المعنى، وإلّا فإنّ ظاهر كلام تلميذه ابن القيّم -رحمه الله- أنها: **قاعدة في التّفسير** بعثها إليه؛ حتّى قال -رحمه الله- في ((مدارج السّالكين)): ((وبعث إليّ في آخر عمره **قاعدة في التّفسير** بخطّه)).

وكذلك أفاد منها الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في أوّل تفسيره، ويكاد أنّه قد ذكر -رحمه الله تعالى- جُملةَ ما في هذه المقدّمة، ((مقدّمة أصول التّفسير)).

كما أنّ الذين صنّفوا في علوم القرآن وفي علوم التّفسير نصُّوا على هذه المقدّمة أو هذه القاعدة، كالزَّرْكَشِيّ في ((البرهان))، والسّيوطي في ((الإتقان))، بل أثنى عليها السّيوطي ثناءً عاطِرًا - أعني على هذه المقدمة-.

° [كلام غير واضح: الدقيقة ٢١:٢٠]

ومنهجه –رحمه الله تعالى– فيها كمنهجه الغالب في كتبه، **وهو منهج الاسْتِطْرَاد**، وهذا يغلبُ على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– فمن قرأ فيها أو دخل فيها وذهنه شارد ضائع لم يستفِد شيئا؛ لأنّه يغلب عليه –كما قلت– الاستطراد.

والاستطراد: انتقال من غرض لآخر لمشاكلةٍ بينهما، عند البلاغيّين.

ومنه الاستطراد أن ينتقلا   من غرض لآخر قد شاكلا

فينبغي على طالب العلم أن يعتني بهذه المنهجيّة في قراءة كتب شيخ الإسلام –رحمه الله–؛ لأنّه إذا شرَد ذهنه أو ذهب في شيء آخر ربما لا يدري أين وصل شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– في كلامه.

وربّما هذا حمل بعض الناس إلى تهذيب أو اختصار هذه المقدمة خصوصا، وإن كان قد وقع في تهذيبها أو في اختصارها أو في تلخيصها الكثير من الإخلالات ؛كما اطّلعت على بعض هذه المختصرات وهذه المهذبات التي هُذِّب بها «مقدمة أصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –.

فأراد هؤلاء أن يخلُصوا من هذا الاستطراد، ولكن للأسف أنّه وقع في التّهذيب أو الاختصار أو التلخيص أنواع من الإخلال الذي ربما يكون مقصودا لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى –.

وعلى كلّ حال هي رسالة صغيرة الحجم وكثيرة الكَمِّ في العلم، جمع فيها –رحمنا الله وإياه– من العلم الشّيء الكثير؛ لأنّه أراد أن يخدُم بها كلام الله –سبحانه وتعالى–، تفسير القرآن، تفسير كلام الله –جل جلاله–.

وهذه المقدّمة –للأسف الشّديد– مع شهرتها بين أهل العلم ما تكاد تجد لها المخطوطات التي يَستَرْوِح معها طالب العلم أو ينشرح معها، ويجزم ببعض المواطن المشكلة، وخصوصا فيما يتعلّق بحذف الإسناد؛ لأنّ شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى– حكى عن بعض الكتب بأسانيدها، وبعضها قال: «وبه»، ولم يذكر الإسناد أو يذكر الكتاب؛ –يعني المخطوطات التي بين أيدينا والتي عليها الطبع–؛ ولكن الأمر في هذا أيضا سهل وميسور.

وهذا الذي ذكرناه هو خلاصة ما يتعلق بهذه المقدمة، وما تضمّنته، وأنّها قد تضمنت أهمّ رجال التفسير الذين تدور عليهم الأسانيد، وأهمّ أئمة التفسير، وأهمّ المصنّفات ومدارس المفسرين؛ فهي كثيرة الفائدة لمن أراد أن يَبحُر في علوم التفسير، وفي علوم القرآن، وهو من العلوم التي بحَر فيها شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– على أنّه –رحمه الله– قد عاتب نفسه بأنّه قد قصَّر في هذا الجانب (هو يقول هذا، لسنا نقوله عنه)، وقد قال تلميذه ابن عبد الهادي:

قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق، وكان من أخصّ أصحاب شيخنا، وأكثرهم كتابة لكلامه، وحرصا على جمعه: ((كتَب الشّيخ –رحمه الله – نُقَول السلف مجرّدة عن الاستدلال على جميع القرآن، وكتب في أولّه قطعة كبيرة للاستدلال، ورأيت له سُوَرا وآيات يفسِّرها، ويقول في بعضها: كتبته للتذكر ونحو ذلك.

ثمّ لما حُبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب عليّ جميع القرآن تفسيرا مرتّبا على السور، فكتب يقول:

((إنّ القرآن فيه ما هو بيِّن بنفسه، وفيه ما قد بيَّنه المفسرون في غير كتاب؛ ولكنّ بعض الآيات أشْكَل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدّة كتب، ولا يتبيَّن له تفسيرها؛ وربما كتب المصنِّف الواحد في آية تفسيرا يُفسِّر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنه أهمّ من غيره وإذا تبيّن معنى آية، تبين معاني نظائرها)).

وقال: ((قد فتح الله عليّ في هذه المرّة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنَّوها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القران)) أو نحو هذا.

هذا ما ذكره ابن عبد الهادي عن ابن رشيق في كتاب ((العقود الدُّرِّية)).

وينبغي أن ترعَوْا إخواني طلاب العلم؛ أنّ من أهمّ ما يقع في التّراجم –كما ذكرت من قبل– هو معرفة مسالك العلماء في طلب العلم، وتلقِّيه، ومن ذلك معرفة الفَوْت الذي يقع لهم فيندمون عليه؛ فيأتي طالب العلم فيجْتَنِب مثل هذه الأمور التي يَسْتَفيدُها من تراجم العلماء، وما يتعلّق برِحْلَتِهم في الطّلب إلى غير ذلك.

وبهذا القدر -حتى لا نلِج في الكتاب؛ نكتفي إن شاء الله تعالى-، ونكمل الأسبوع القادم -إن شاء الله- الكلام على صُلب الموضوع وهو ((مقدمة أصول التفسير)).

وفّق الله الجميع لما يحب و يرضى

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.